

السماء والأرض فيقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لترجعين: كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللدغ وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عز وجل ﴿مُهَيِّبِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: 8]. وفي صحيح مسلم «أنا أول من تنشق عنه الأرض» ﴿ذٰلِكَ حَسْرَتُنَا يٰسَيِّرٌ ﴿٩﴾﴾ أي تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا، كما قال جل جلاله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: 50] وقال سبحانه ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَجِدَةً ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: 28].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعَبِدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب، فلا يهولك ذلك ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به، أو لا تجبر عليهم، والقول الأول أولى. ﴿فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعَبِدِ﴾ أي بلغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده، ويرجو وعده.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾﴾ فَالْحَمَلَاتِ ﴿٢﴾ وَقَرَأَ ﴿٣﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٤﴾ فَالْمُتَسِّبَاتِ ﴿٥﴾ أَمْرًا ﴿٦﴾﴾

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام إليه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾﴾ قال: الريح، قال: ﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرَأَ ﴿٢﴾﴾ قال: السحاب، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ قال: السفن، قال: ﴿فَالْمُتَسِّبَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ قال: الملائكة.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتَ الْمُبَارِكِ ﴿٧﴾ إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَن أُوْفِكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْمُفْرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرُقٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾ أي لخبر صادق ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ وهو الحساب ﴿أَي لَكَائِن لَّا مَحَالَةَ﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتَ الْمُبَارِكِ ﴿٧﴾ ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء، أو ذات طرائق. ﴿إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ ﴿٨﴾﴾ أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسول ﴿لَنِي قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ﴾ أي مضطرب، لا يلتزم ولا

يجتمع، أو ما بين مصدق ومكذب به. ﴿يُؤفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكْرِ﴾ أي إنما يروج على من هو ضال في نفسه، لأنه قول باطل، إنما ينقاد له، ويضل بسببه، ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غمر لا فهم له، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّكِرُ وَمَا بَدَّدْتَهُ مِمَّا كَفَرْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْيَيْنٍ﴾ [آلَا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ] ﴿١٦٣﴾ [الصفات: 161-163] وقوله تعالى: ﴿قُلِ الْخَارِصُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ الكذابون، كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ ﴿١٧﴾ [عبس: 17] والخراصون هم الذين يقولون: لا نبعث ولا يوقنون أو ﴿قُلِ الْخَارِصُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ لعن المرتابون ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ الذين هم في الكفر والشك غافلون لاهون.

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ يَوْمَ الْبُرْجَانِ﴾ ﴿١٦٦﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٦٧﴾ ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٦٨﴾

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ وإنما يقولون هذا تكديباً وعناداً وشكاً واستبعاداً. ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ يعذبون، أو كما يفتن الذهب على النار، أو يحرقون. ﴿ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ﴾ عذابكم، أو حريقكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾ أي يقال لهم: ذلك تقريعاً وتحقيراً وتصغيراً.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٦٩﴾ ءَاخِذِينَ مِمَّا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ مِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧٠﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧١﴾ وَيَأْتِيهِمْ فِيهَا الْبُحْبُوحُ ﴿١٧٢﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٧٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٤﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمِمَّا تُوَعَّدُونَ ﴿١٧٦﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن المتقين الله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحرق والإغراق ﴿ءَاخِذِينَ مِمَّا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ﴾ أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضاً، وهذا تفسير ابن جرير، وفيه نظر، لذلك فإن قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي في الدار الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ كقوله جل وعلا: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا آسَأَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ [الحاقة: 24] ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل فقال جل وعلا: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ قيل: إن ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ نافية، تقديره كانوا قليلاً من الليل لا يهجعون، وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية: تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم. ﴿وَيَأْتِيهِمْ فِيهَا الْبُحْبُوحُ﴾ ﴿١٧٢﴾ يصلون، أو يؤخرون الاستغفار إلى الأسحار، كما قال تعالى: ﴿وَالسُّنْبُورُ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17] ولما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم، أما السائل فمعروف، وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق. روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ «السائل حق وإن جاء على ظهر فرس»، وأما المحروم فهو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم، أي لا سهم له في بيت المال، ولا كسب له، ولا حرفة يتقوت منها. وفي

الحديث: «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقتان والتمررة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يظن له فيتصدق عليه»، وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحهما. ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أي فيها من الآيات الدالة على عظمة الخالق وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النباتات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإيرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم، والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فمن تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقَكُمْ﴾ يعني المطر ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني الجنة. ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه، كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون.

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٥﴾
فَرَأَى إِلَاتَ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿١٦﴾

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ أي الذين أُرصد لهم الكرامة. ﴿فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، ﴿فَرَأَى إِلَاتَ أَهْلِهِ﴾ أي انسل خفية في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ أي من خيار ماله، وفي الآية الأخرى ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: 69] أي مشوي على الرضف.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا نَخَفُ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿١٨﴾
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ مُصَنَّتٍ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٠﴾

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تُلطف في العبارة، وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون، وبسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتىكم بطعام، بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل. ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا نَخَفُ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ فالبشارة له هي بشارة لها، لأن الولد منهما، فكل منهما بشر به ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ مُصَنَّتٍ أَي فِي صَرْخَةٍ عَظِيمَةٍ وَرَنَةٍ﴾ أي ضربت بيدها على جبينها تعجباً كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي كيف ألد، وأنا عجوز، وقد كنت حال الصبا

عقياً لا أحبل؟ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣١﴾ أي عليم بما يستحقونه من الكرامة، حكيم في أقواله وأفعاله.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِتُرْسَلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَرَفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾؟ أي ما شأنكم، وفيم جئتم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ يعنون قوم لوط ﴿لِتُرْسَلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةٌ أي معلمة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَرَفِينَ﴾ أي مكتتبه عنده بأسمائهم، كل حجر عليه اسم صاحبه ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال. ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٣٧﴾ أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال، وحجارة السجيل، وجعلنا محلثهم بحيرة متنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ رَبَّيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ أي بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فَتَوَلَّىٰ رَبَّيْهِ﴾ أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً. قال مجاهد: تعزز بأصحابه ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَتْهُمْ﴾ أي القيناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي وهو ملوم جاحد فاجر معاند.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي نَمُودٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ جِئْتُمْ رِبِّهِنَّ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٣﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ أي المفسدة التي لا تنتج شيئاً ﴿مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي مما تفسده الريح ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي كالشيء الهالك البالي. ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور». ﴿وَفِي نَمُودٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ جِئْتُمْ رِبِّهِنَّ﴾ ﴿٤٣﴾ وفي ذلك أنهم انتظروا العذاب وقت فناء آجالكم ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِنَّ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ﴿فَمَا اسْتَطَلَعُوا مِنْ قِيَارٍ﴾ أي من هرب ولا نهوض ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾ أي لا يقدرن على أن ينتصروا مما هم فيه ﴿وَقَوْمٌ نُوْجٌ مِنْ قَبْلُ﴾ أي وأهلكتنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ .

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَقُرُورًا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١) ﴿

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي قد وسعنا أرجاءها، ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي وجعلناها مهداً لأهلها ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، ليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿فَقُرُورًا إِلَى اللَّهِ﴾ أي الجأوا إليه، واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي لا تشركوا به شيئاً ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .

﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢) ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِءَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

طَاغُونَ﴾ (٥٣) ﴿

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ: وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسولهم ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢) ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِءَ﴾؟ أي أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾؟ أي لكن هم قوم طغاة، تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم .

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٥٤) ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (٥٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨) ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾ (٥٩) ﴿قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٦٠) ﴿

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ أي فأعرض عنهم يا محمد ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يعني فما نلومك على ذلك ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) أي إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، أو لإيقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً، أو إلا

ليعرفون ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبده وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم. روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك» ورواه الترمذي وابن ماجه. وروى الإمام أحمد أن حبة وسوأة ابني خالد، يقولون: أتينا رسول الله ﷺ، وهو يعمل عملاً، أو يبني بناء، فأعناه عليه، فلما فرغ دعا لنا وقال: «لا تياسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يعطيه الله ويرزقه». وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبنى تجدني، فإن وجدتنى وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أي نصيباً من العذاب ﴿يَمَثَلُ ذُنُوبِ أَحْسَنِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾ أي فلا يستعملوا ذلك، فإنه واقع لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٦٠) يعني يوم القيامة.

تفسير سورة الطور

روى مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه. أخرجاه من طريق مالك. وروى البخاري عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني أشتكي فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت، ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ (١) ﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورٍ﴾ (٢) ﴿فِي رَقٍ مَنشُورٍ﴾ (٣) ﴿

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار، مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له: جبل. ﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورٍ﴾ (١) قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً، لهذا قال: ﴿فِي رَقٍ مَنشُورٍ﴾ (٢).

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (٤) ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (٥) ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) ﴿مَالَهُ